الانتماء الحرفي لأهل الصناعات في المغرب الأوسط

أة. بودالية تواتية
جامعة معسكر

شكلت الطاقة الحرفية وعاء النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط، والتي نشأت بطبيعتها عبر مراحل التاريخ كطبقة صانعة للحياة من اجل الاستمرارية، ومنتجة للخيرات المادية ذات إبداعات مهنية وحرفية. وقد احتوت القوى المنتجة بداخلها طاقات من الحرفيين من مختلف الأجناس في المغرب الأوسط، لم تتكون نتيجة الرغبة في العيش والبناء المشترك، بل على إسهامات إنسانية محلية وخارجية وتفاعل مع حضارات أخرى. وهذا يعني أن الهوية الحرفية نتاج تاريخي وجغرافي.

وقد يرتبط التباين في الانتماء بالبناء الاجتماعي أو الطبقي،كما قد يكون نتيجة لتعددية عرقية أو أثنية أو مذهبية، أو حتى بين شرائح تختلف بتباين نمط العيش، كالبدو والحضر، وقد يرتبط بالجهة والمكان والبيئة، وغيرها مما يساهم في تحديد الانتماء والهوية للحرفيين. وعلى هذا الأساس، فإنّ هذه الدراسة متحيزة بطبيعتها للوعي بالانتماء الحرفي من حيث الأهمية والأولوية. ومن خلال مفاهيم تطمح في متابعة اعتبارات الهوية الحرفية لأهل الصناعات من المنظور التاريخي.

1- **مفهوم الانتماء**

الانتماء يعني الانتساب يقال: "نميته إلى أبيه نميا ونميا وأنميته: عزوته ونسبته وانتمى هو إليه: انتسب، وفلان ينمي إلى حسب وينتمي يرتفع إليه ... ويقال: انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب" (ابن منظور،(د.ت)، ج15: 342). كما ورد هذا المعنى في القرآن والسنة بلفظ

آخر وهو الادعاء أو الدعوة في باب : التبني، لقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الأحزاب:4-5)، تشير الآية إلى حق التبني الذي أبطله الإسلام، ورد كل واحد إلى أصله ونسبه والغرض من ذلك حماية الأنساب والحقوق والأعراض، ويكفيه نسبه إلى الإسلام.

الانتماء كمفهوم ينتمي إلى المفاهيم النفسية الاجتماعية ويعني الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع آخر، وفي الحقيقة أن دافع الانتماء يحفز الفرد على القبول الاجتماعي من أفراد الجماعة وتجده يساير معايير الجماعة وقوانينها وتقاليدها فيتوحد الفرد مع الجماعة، والانتماء إلى الدولة الإسلامية القائمة في بلاد المغرب الإسلامي على مراحل تاريخية متفاوتة يعتبر من أوضح نماذج التوحد مع المجتمع حيث يلاحظ تأثير شخصية الأمة على شخصية الفرد وتطابق شخصيته مع النمط الثقافي السائد.

ويعرف الانتماء بأنّه :النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى (عبد الحميد راتب، ن،1999: 57). وورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة؛ حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها (ذكي بدوي، أ، 1978: 16).

ثانيا- الانتماء الحرفي لأهل الصناعات في المغرب الأوسط

يتخذ الانتماء الحرفي لأهل الصناعات أشكال ومشارب متعددة وقد تأخذ صوراً مختلفة في المغرب الأوسط، نذكر منها:

1- الانتماء الديني والسياسي

هو عبارة عن صهر عناصر المجتمع في أمة واحدة على الرغم من التنوع الثقافي والعقدي، والعرقي، وهو الأمر الذي بين المسلمين وقد أبرزته وثيقة المدينة التي وضعها النبي محمد ﷺ وطوائف المدينة (الزحيلي، و، عدد15، السنة الرابعة، 2006: 17)، فالدولة الإسلامية تتكون من مجموعة مواطنين مسلمين وغير مسلمين، ونتيجة انتمائهم السياسي للدولة الإسلامية فإنّهم يتمتعون بالحقوق، ويلتزمون بالواجبات التي يفرضها عليهم هذا الانتماء.

وبالنظر إلى وضعية الحرفيين فإنّ الانتماء مرتبط بالتوجهات الهوياتية، ومدى تثبيتها في الواقع وبخاصة على المستوى الاقتصادي، وذلك من خلال انضمام واندماج مجموعة من الوافدين إلى المغرب الأوسط مهما اختلفت جنسياتهم ولغاتهم. وهذا فيه دلالة على أنّ الهجرة إلى الدولة الإسلامية تعتبر طريقة من طرق الانتماء السياسي للدول، كهجرة قبائل بني هلال التي قدمت إلى المغرب الإسلامي في منتصف (5هـ/ 11م)، بعد أن قطع المعز بن باديس الزيري الدعوة الفاطمية على منابر إفريقية والمغرب وأخذ بدعوة للعباسيين في المشرق، واستمر وجودهم في المنطقة إلى غاية الفترة الزيانية منها قبيلة بني عامر التي أحضرها السلطان يغمراسن لتسكن غرب مدينة تلمسان لتحمي المدينة من غارات القبائل المعارضة للزيانيين (فيلالي، ع،ج1، 2002: 173).

ومن الهجرات المسلمة هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط. وقد تضاعف عددهم بعد تساقط المدن الأندلسية بيد النصارى، منذ النصف الأول للقرن (8هـ/ 13م)(الدراجي، 1993: 39)، وقد وصل عددهم نحو نصف مليون نسمة في تلمسان خلال ق(9هـ-15م). يمثل النموذجين ظاهرة الانتماء السياسي الذي لا يكون إلا للمسلم الذي هاجر إلى الدولة الإسلامية.

أما انتماء غير المسلم السياسي للدولة الإسلامية يكون من خلال عقد الذمة، فبهذا العقد يصبح مواطناً في الدولة الإسلامية له من الحقوق ما للمسلم، وعليه من الواجبات ما على المسلم. فقد جعل النبي ﷺ غير المسلمين مواطنين في الدولة الإسلامية مع المسلمين، وهذا بناء على عقد الذمة إن التزموا به ولم ينقضوه، وفي هذا الصدد يقول الشعراوي"وبهذا يكون النبي قد أقام وحدة وطنية داخل المدينة، يعمل الجميع في إطارها، ويلتزمون بكل بنودها - أي بنود وثيقة المدينة- متمتعين بعدل الإسلام وسماحته: لكل منهم حقوق وعليه واجبات، ومن وفّى فله الوفاء، ومن نقض العهد فعليه إثم ما نقض وعقاب ما جنى ... وإذا كان اليهود أقلية في مجتمع المدينة، فإن الإسلام جعل لهذه الأقلية حقوقاً، وجعل عليها واجبات" (نقلا عن الذهبي،إ، 1993: 119)، كما "وفرت الصحيفة لغير المسلم في المجتمع الإسلامي وجوداً اندماجياً يحافظ فيه على جميع مكونات شخصيته... مما يتحقق به الانتماء إلى ذلك المجتمع" (الجراري، ع، العدد 1417، 1996: 69).

وبهذا يكون عقد الذمة لغير المسلم هو الطريق الثاني التي يتم من خلاله الانتماء السياسي للدولة الإسلامية، فالجالية اليهودية بالمغرب الإسلامي عامة، لم تكن مضطهدة بل وجدت الفرص المتاحة للاختلاط

اليومي بين اليهود والمسلمين في بيئة واحدة، فالتعامل اليومي أثبته المصادر التاريخية وكتب النوازل الفقهية، التي كانت شاهدا على روح التسامح وحالة التعايش والانسياب من المسلمين وأهل الذمة خاصة اليهود. فقد وجدت البيع التي تؤدي فيها هذه الفئة شعائرهم في بلاد المغرب ومنها "بيعة في توات" (الونشريسي، ا،ج6: 38).

2- الانتماء الاجتماعي

الشعور بالانتماء للمجتمع من أهم دعائم المجتمع التي تحافظ على استقراره ونموه، فهو مدعوم على الدوام بقوة الارتباط إلى الجماعة، مما يكشف عن الطابع الهوياتي والبنيوي لمجتمع المغرب الأوسط الذي ضم عناصر مختلفة؛ فقد مثلت الصناعة من أهم الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأوسط التي تأثرها بالخبرات الفنية الوافدة إليها والتي كانت سببا في ترقية اقتصاده، وكان العنصر البربري الغالب **على** العناصر السكانية التي استوطنت المغرب الأوسط منذ زمن بعيد، وينقسم البربر إلى عدة قبائل أهمها قبيلة زناتة التي سكنت مدينة تلمسان حسب ما ذكره ابن خلدون: "...والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال: وطن زناتة .... " (ابن خلدون، ع، ج7، 1983: 3)، وتفرعت عن زناتة عدة فروع وبطون متعددة منها بنو مغراوة، بنو يفرن، بنو يلومي، بنو مانوا، بنو واسين، وتفرع كل بطن بدوره إلى فروع صغيرة (ابن خلدون، ع، ج7،1983: 11- 33-74)، وشكلوا بذلك أهم عناصر المجتمع الزياني.

أما العناصر الشرقية استمرت في التدفق على المغرب الأوسط منذ عهد الولاة من الحجاز ومصر وخراسان، والشام والعراق، بالإضافة إلى

قبائل بني هلال خاصة قبائل زغبة والمعقل وحميان وبنو عامر الذين ازدادوا حظوة عند سلاطين بني زيان(ابن خلدون، ع،ج7، 1983: 105-114-175).

ولعل اكبر جالية استوطنت المغرب الأوسط كانت من الأندلسيين بسبب الظروف السياسية، وبهذا الصدد يذكر العلاَّمة ابن خلدون"...وأما أهل الأندلس، فافترقوا في الأقطار، عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم النصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية، من لدن الدولة اللَّمتونية إلى هذا العهد، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع، وتعلقوا بأذيال الدولة"، وارتبط هذا العصر في المغرب الأوسط تحول أعداد كثيرة من الأندلسيين من اسبانيا للاستقرار بمدن المغرب الأوسط الساحلية خاصة، فكانت أهم مراكز الاستقرار بالغرب كوهران ونواحيها ومستغانم وآرزيو وجهاتها وتلمسان وقلعة بني راشد ومازونة وندرومة، وبالشرق الجزائري استقرت جاليات أندلسية ببجاية وجيجل والقل وقسنطينة وبونة(عنابة) والقالة، أما الوسط فاختارته بعض الجاليات الثغرية القادمة من وشقة وسرقسطة البيضاء وبطليوس.وتجمع الأندلسيون في مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال وتادلس وملیانة والمدية ومازونة وفي إقليمي متيجة والساحل القريب منها(سعيدوني، ن، 1984: 111-118).

وشكل هؤلاء الوافدون أساس الاقتصاد في المغرب الأوسط من خلال ممارسة الأعمال الحرفية والتجارية والزراعية التي جلبوها معهم من موطنهم الأصلي الأندلس بمختلف أقاليمه. ويؤكد ذلك ابن الأعرج: "وكان لعهد نزول الأندلسيين بها(تلمسان) مزدانة بالمصانع المفيدة، فما شئت من أطرزة، ومنسوجات الحرير، والقطن والكتان والصوف، ومعامل

الفخار والخزف وأنواع السلاح وسائر الأواني المنزلية" (فيلالي، ع،ج1، 2002: 177). كما استعان سلاطين بني زيان وأمرائهم في البناء والتعمير، بالمهندسين والبنائين والفنيين الأندلسيين(ابن خلدون، ع،ج7: 297). واعتمدت الحياة الاقتصادية في المدن والحقول على اليد العاملة المستأجرة من فئة السود، فقد كانوا يجلبون من بلاد السودان وازداد الطلب عليهم لإتقانهم العمل في الزراعة والتعدين (فيلالي، ع،ج1، 2002: 185).

وخلال القرن(6هـ/ 12م) ظهرت فئة المسيحيين بشكل جلي على أربعة أصناف وهم الجند في الجيش الإسلامي في المغرب، وفئة التجار المسيحيين، والأسرى الذين تضاعف عددهم في العهد الزياني لدرجة أن سلاطين بني زيان وأمرائهم استعانوا بآلاف الأسرى النصارى في انجاز مشاريعهم العمرانية الكبيرة وصناعاتهم الحربية بمدينة تلمسان(ابن خلدون، ي، ج1،1974 :216).

أما الجالية اليهودية في المغرب الأوسط فقد تمتعت بالمركز السياسي والاجتماعي عكس النصارى، إذ كانت لهم مساهمة فعالة في الحركة التجارية والصناعية، وشملهم عطف ملوك بني زيان(فيلالي، ع،ج1، 2002: 195).

وبذلك شكل مجتمع المغرب الأوسط قوة حرفية إنتاجية تنوعت نشاطاتها بحكم انتماءها المفرد أو المزدوج، والقصد من ذلك انتقال العناصر الوافدة إلى البلاد والتي تحمل معها موروث حضاري سوف يزرع في الوسط المحلي ويتناغم ويتجانس مع العناصر المحلية. وبالتالي يعتبر الانتماء الشخصي للوسط من الشروط الضرورية على الخلق والإبداع الحرفي.

3- الانتماء الحضاري

الحضارة في مجملها: تعني السكن في الحواضر، والحظيرة هي المدن. قال ابن خلدون" فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما "، وفي موضع أخر "إنّ البدو أصل للحضر ومتقدم عليه "، ويضيف"وأنّ الحضارة غاية للبداوة "، وذلك يمليه أصل كبير وهو " أنّ الاجتماع للإنسان ضروري" (ابن خلدون،ع،2002: 65-163- 450) لأنّه مدني بالطبع. فيذكر الإدريسي أنّ القبائل المنتشرة بين تلمسان وتاهرت ظاعنة في البداوة بقوله" كل هذه القبائل بطون زناتة.. وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيره"، ويضيف ابن خلدون أن بطون كتامة بين قسنطينة وبجاية " غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الإبل والبقر" (ابن خلدون، ع،ج6، 1983: 136-256)، ويذكر ابن حوقل أن جزائر بنو مزغنة"لها بادية كبيرة فيها من البربر كثرة وأكثر أموالهم المواشي والبقر والغنم سائمة في الجبال. تشير هذه الدلالات على نمط المعيشة لهذه القبائل التي لم ترتقي بعد إلى درجة التقدم والتحضر.

كما أولى هذا المفكر اهتماما بالصناعات وتعلمها باعتبارها نهضة حضارية تزدهر بها المجتمعات المتقدمة، وتنحط وتكون بدائية في المجتمعات التي لا تستوفي فيها شروط الترف والثروة ومقدار العمران خاصة، في قوله: "إنّ الصناعة بمهنها المختلفة رمز للحضارة، ولا توجد إلاّ في أهل الحضر ولا تكمل إلاّ بكمال العمران الحضري وكثرته" (ابن خلدون، ع،2002: 380-381)، فهذا ابن صغير يشهد على تطور تاهرت فيشير إلى"قصور قد بنيت وإلى بساتين قد غرست وإلى ارحاء قد نصبت والى خيول قد ركبت .."، ويضيف إلى تطورها في عهد الإمام الأفلح" حتى عمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار

والأفاق بأنواع التجارت وتنافس الناس على البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خريجة المدينة" (ابن صغير، 1907: 125-334-336).

كما لم يمانع بالتصريح أنّ العرب أبعد النّاس عن الصناعات وأوطانهم قليلة الصنائع لرسوخهم في البداوة منذ سنين طويلة، وذلك كما فسره في قوله : "أنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها" (ابن خلدون، ع،2002: 384). تلك إذن الصورة النسبية لوضعية الصناعة المبنية على الرؤية الخلدونية مدعمة بأمثلة. وعليه فإن هذا النشاط ارتكز على طاقة بدائية لا تتجاوز مستوى الضروريات وسرعان ما تحولت إلى الرقي المحقق من مكاسب الحضارة وبخاصة نشأة المدن الجديدة والاتجاه إلى الحرف الأكثر تعقيدا، والتي لا توجد إلاّ ضمن الأطر الحضرية المكتملة.

4- الانتماء إلى الجنس

أعلن عن هذه الأصول في قوله تعالى ﴿ **يا أيها النّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾(الحجرات،13).والنمط الجنسي من المقاييس المرجعية التي تتوافق مع نظام التمرس المهني، وبشكل تقني يعبر في الحقيقة عن نوعية المزاولة المهنية بين الجنسين، فضلا عن الخصوصية البشرية التي يتمتع بها الطرفين في تنفيذ المنجزات الحرفية من حيث التصميم والابتكار. وهو الأمر الذي جعل المرأة تشارك الرجل في عملية التصنيع وفق الحاجة، وتجاوز عملها إلى الأشغال الكبيرة والمتعبة؛ فقد كان عدد كبير من النساء شاركن في عملية الإنتاج كأعمال الفلاحة، حيث ذكر الدرجيني أن امرأة نفوسية وجدت في الحرث(الدرجيني،أ،ج1، 1974: 65). والأكثر من ذلك فإنّ جل صناعتهن الغزل والنسيج، ففي فجيج نساء تنسج ثياب الصوف على شكل

أغطية السرير، لكنها دقيقة رفيعة حتى يظن أنّها حرير(الوزان،ح،ج2، 1982: 132). فكانت مؤمنة التلمسانية (مستوطنة فاس ودفينة تلمسان) من النساء الزاهدات العابدات تسدّ نفقات عامها من غزل يدها.(ابن قنفذ، ق. 1965: 80). وتميزت هذه المنتجات النسائية بنوعيتها الممتازة.

5- الانتماء الجغرافي

لقد بنيت عملية الانتماء الحرفي إلى القاعدة الأرضية التي يمثلها المكان، وهذا فيه دلالة على وجود اعتبارات جغرافية تتحكم في الإنتاج الحرفي الذي يقترن بالقطاع الفلاحي والتجاري، كل ذلك في إطار الاندماج التكاملي في بناء اقتصادي اجتماعي. إذ تتميز الحرفة بانتشارها في المكان الجغرافي، ويحدث ذلك بتأثير من البيئة الطبيعية من خلال وجود مواد أولية من نبات أو حيوان. وشاعت بذلك ظاهرة التخصص الصناعي في مناطق عدة من بلاد المغرب الأوسط حسب توزيع المواد الأولية الضرورية للإنتاج الصناعي، ويمكن أن نشرح ذلك من خلال أمثلة من المصادر الجغرافية التي تشير إلى كثرة المزارع وتنوع المحاصيل الزراعية في مناطق مختلفة، فقد كان سكان المدن الغربية الأكثر استهلاكا لمادة الخروب وذلك لقلة الحبوب، فتشاهد حول ندرومة بساتين عديدة وأراضي مغروسة بأشجار الخروب التي يأكل النّاس ثمارها بكثرة. وبتبحريت ممتلكات مغروسة بأشجار الخروب(الوزان،ح،ج2، 1982: 14-15).

فاشتهرت بريشك وجيجل بإنتاج الشعير، واختصت متيجة، وتنس، ودلس بكثرة إنتاج القمح. واشتهرت تلمسان بطيب الفواكه، فقد كانت تنتج الممتلكات المجاورة لهنين كميات وافرة من الثمار، كالكرز والمشمش والتفاح والأجاص والخوخ وما لا يحصى من التين. وفي خارج المدينة الخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة.

وعرفت مدينة بريشك وبني ورنيد بإنتاج التين. ويكثر الجوز في كل من مليانة وجيجل. وتميزت مدينة ميلة بكثرة التفاح والأجاص. كما اشتهرت مدينة عنابة "باسم العناب لكثرته في ذلك المكان، يجفف هذا العناب ويؤكل في فصل الشتاء". ومن المنتوجات الزراعية صناعة الزيت من الزيتون لوفرته في كل من مدينة هنين، وجبال قسنطينة(الوزان،ح،ج2، 1982: 16-20-30-33- 36-37-42- 52-60- 103.).

وإلى جانب الاهتمام بالزراعة جرت العناية بتربية الحيوانات، حيث استفاد سكان عنابة كثيرا من تربية المواشي من البقر والغنم والماعز التي تعطي الزبد بكثرة إلى حد أنّ الأعراب يكادون لا يحصلون في مقابله على المال. وفي إقليم بني راشد فيه عدد وافر من الجمال والخيل. وكان لوفرة البساتين في الجزائر الأثر الكبير في تربية النحل واستخراج العسل، ومن المناطق التي اشتهرت بطيب عسلها ندرومة، وتبحريت، وتنس(الوزان،ح،ج2، 1982: 26-36-62).

وقد أصبح من البديهي أنّ تتعايش مسالة المجال الزراعي بالوظيفة الصناعية، وهذا الاقتران سمح بتحديد أصالة الموقع الجغرافي المرتبط بظاهرة التخصص الحرفي، ومن هنا بعد معاينة بعض المواقع الجغرافية للمغرب الأوسط والتي أشارت إليها المصادر الجغرافية كما ذكرنا أنفا، اكتشفنا مدى ارتباط المكان بالحرفة والتي تحدد الوظيفة الاقتصادية والتجارية للموقع.

6- الانتماء إلى الصنعة

الصناع وهم من يعملون في مختلف الصناعات التي تأثرت بالهجرات المشرقية والأندلسية والظروف السياسية. وتنوعت الحرف ما بين نساجون وصباغون وحطابون وفحامون وخراطون والحاكة. فكان أهل

تبحريت "نساجون إلا القليل منهم"، وأهل مدينة العباد " معظمهم من الصباغين"، ويكاد يكون أهل ملياناة كلهم صناعا، نساجين أو خراطين"، ويشتغل الكثير منهم في الفلاحة. وسكان مدينة وهران معظمهم من الصناع والحاكة. وكذلك الحال بالنسبة لأهل مازونة"وهم إما نساجون أو فلاحون"، أما سكان بجاية مارسوا مختلف الحرف. ويضيف الحسن الوزان أن أهل المرتفعات زاولوا مهنا متعبة فكان سكان جبال أغبال كلهم فلاحون وحطابون، وجبل بني ونيد" أهله فحامون وحطابون وفلاحون" (الوزان،ح،ج2، 1982: 15-20-24-30- 35-36 -51).

يبدو جليا مدى تنوع الأنشطة الاقتصادية الممارسة في بلاد المغرب الأوسط، لكن المحيط عمق مستوى الممارسة بين سكان المرتفعات والمنخفضات، ويرتبط هذا الأمر بالبداوة والتحضر وهي مكونات مصاحبة لمقاييس التمدن. وعليه فإنّ طبيعة النشاطات مرتبطة بالحاجيات المادية، وبالمجال المكاني وظرفيته الطبيعية، وبالانتماء إلى أصول الصنعة.

7- الانتماء إلى الطائفة الحرفية

نشأ نظام الأصناف (فيلالي، ع، 2002: 1/ 220) التي عرفت بأرباب الصناع لتسهيل حركة النشاط الاقتصادي والإشراف المباشر عليها. فقد شملت أسواق تلمسان عدة طوائف مثل: العشّابين العطّارين، والخرّازين، والخياطين، والنسّاجين، والحاكة، والقبابين، والإسكافيين، والحدادين والصّفارين، والخراطين، والفخّارين (الوزان، ح،ج2، 1983: 19).

لقد تشابهت الروابط الحرفية في البلاد الإسلامية وظهرت لحاجة المجتمع إلى أسواق مشتركة بعيدة عن تبعية السلطة. وعلاوة على ذلك أدى تزايد السكان إلى تطور العلاقة بين الصانع والأجير، بحيث نشأ نظام من التسلسل الهرمي. ومن هذا كان لكل حرفة رئيس أو شيخ يسمى" الأمين"

كأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن النجار(ابن مرزوق، خ. 2008: 188). فقد كان أمينا على سوق الحاكة.

كان يتم تعيين شيخ الطائفة الصناعية بالاختيار أو الانتخاب بموافقة المحتسب، وتتمثل مهمة العريف في دور الخبير الفني في الخلافات التي تقع بين أهل الحرف وعملائهم على سلعة من السلع، وكان رأيه مقبولا لدى القاضي أو المحتسب وكان يقوم بإبلاغ المحتسب رأي طائفة على تكاليف السلع التي يصنعونها وتحديد ثمن بيعها(الدّوري،ع. 1987: 68).

ولم يقتصر التنظيم الصناعي في تعيين العريف، بل جرت العادة أن يتدرج الفرد في الحرفة من مبتدئ أو صبي صغير إلى صانع مدرب إلى عريف. وفي الغالب كان يساعد الصانع عمال صبيان، وقد يستمر الصبي مدة طويلة لاكتساب الخبرة حتى يرتقي ويصبح أستاذا للصنعة، أو بصفة مؤقتة أجيرا فقط. وكان الفلاّحون يستأجرون فئة الأجراء في مواسم الجني والحصاد،(الونشريسي، أ. 1981: ج6: 325).

8- الانتماء إلى الفضاء الصناعي

الفضاء الصناعي هو المكان الذي احتوى الصناعات بأنواعها. فقد خضعت الأسواق في المغرب الأوسط لتنظيم محكم باعتبارها أكبر منطقة للإنتاج الصناعي، لهذا تنوعت بأنماطها المختلفة حسب الاختلاف المهني. وكان كل نوع من أنواع الحرف والصناعات يحتل سوقا باسمه مثل سوق الوراقين، والفخارين والعطارين والصباغين والدباغين(حساني، م، 2007: 85).

وظهر مفهوم التجاور في السلع المتشابهة أو السلع التي يكمل بعضها بعضا، وأصبح من الطبيعي أن تتجاور أسواق مخصصة لغرض معين في محيط عمراني واحد أو متقارب. وقد لاحظ حسن الوزان هذا الأمر في

مدينة الجزائر فيقول: " منسقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص"، وتحدث أيضا عن أسواق قسنطينة " عديدة حسنة التنسيق، بحيث أنّ جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض" وكذلك الحال بالنسبة لأسواق مدينة بجاية"أسواقها جميلة منسقة أحسن تنسيق". وتيهرت بلد"رشيق الأسواق" (المقدسي، ش، ص228). وخصص للصناع أماكن لهم بلغت حوالي أربعين دارا للصناع في إقليم بني راشد(الوزان، ح،ج2، 1982: 21- 37-56-136).

وكانت الأسواق بصفة عامة تحمل أسماء لصاحبها أو مؤسسها والقائم بأمرها مثل سوق حمزة، وسوق إبراهيم، وسوق عبيدون بن سنان الازداجي وسوق ابن حبلة وسوق ابن مبلول وسوق كرامة، وسوق يوسف، وسوق ابن خلف(جودت، ع،1992: 143).

وتقتضي طبيعة بعض الحرف أن تكون أماكن وجودها خارج المدينة، أو على أطرافها، والمدابغ غالبا ما تكون خارج المدينة لما تحدثه الجلود من رائحة كريهة، والقصابين الذين ارتبط وجودهم بأطراف المدينة، لأنّ هؤلاء لابد لهم من المذبح الذي يوجد في الغالب خارج المدينة، فاستدعى ذلك وجود حوانيت القصابين على أطراف المدينة. وكانت الغاية هو الحفاظ على جمالية الفضاء الصناعي والبيئي وحماية المنتجات الصناعية.

9- الانتماء إلى المستوى العلمي للمهارات الحرفية

أثرت حيوية النشاط الاقتصادي على احتضان الفئة المثقفة في المجال الصناعي؛ فقد كان بعض الفقهاء يحترفون الحراثة وتربية المواشي، والخراطة وخياطة الملابس، ونسخ المصاحف، والكتب وبيعها. فقد كانت عائلة النجار التلمسانية من الأسر التي تملك أموالا وثروة، اشتهر منهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن النجار، الذي كان يملك، معامل لحياكة الصوف الرفيع،

والذي انفردت به معامل تلمسان. وكان الشيوخ الفقهاء التجار أبو عبد الله المدحس وإخوته، وبني اللحام القاضي والخطيب، وابن حسون، وابن الجلاب، وعائلة المزارقة هي الأخرى تشتغل بالعلم والتجارة والفلاحة. بالإضافة إلى عائلة العقباني(فيلالي،ع،ج1، 2002: 195- 214).

10- الانتماء إلى المستوى المعيشي

إنّ الحياة الاجتماعية والمادية لأهل الصناعات في المغرب الأوسط تأثرت أولا بشكل مباشر بالفتن والاضطرابات السياسية، والظروف الطبيعية فيؤدي بالضرورة إلى تفاقم الفقر. كما تتأثر هذه الفئة بمظاهر الاستقرار ورعاية السلطة لها مما يزيد من ثراءها. ويمكن أن نناقش الموقفين من خلال ما يلي:

أ- مستوى الفقر

كان للكوارث الطبيعية التي انتابت المغرب الأوسط بين الحين والأخر، أثر سيئ على النشاط الزراعي والثروة الحيوانية والغابية والمرافق العامة، وهلاك عدد كبير من السكان بسبب المجاعة والطاعون. فقد تعرضت هذه البلاد إلى توالي سنوات من القحط والمجاعة والسيول والجرّاد وغيرها من الكوارث التي لا تخلو من ارتفاع الأسعار وضنك في المعيشة وقلة الأرزاق. ومن الآثار التي أفرزتها هذه الكوارث ارتفاع الأسعار بوتيرة سريعة خاصة أثناء مجاعة(698هـ/ 1293م)،وطاعون(764هـ/ 1363م). ويصف لنا كذلك ابن خلدون ارتفاع الأسعار بقوله : "أن ثمن البقرة الواحدة ستون مثقالا، والظأن سبعة ونصف والرطل من لحم البغال والحمير بثمن المثقال، ومن الخيل بعشرة دراهم... وحتى الخس بعشرين درهما، ومن اللفت بخمسة عشر درهما، والفقوس بأربعين درهما، والخيار

بثلاثة أثمان الدينار، والبطيخ بثلاثين درهما، والحبة من التين والإجاص بدرهمين" (ابن خلدون، م7 ، 1983: 197-198).

غير أنّ هؤلاء الصناع على الأغلب أنّهم عاشوا حياة قاسية، ففي تفسرة القريبة من تلمسان حدادون كثيرون لوجود مناجم الحديد. واغلب الأعمال والأشغال يمارسها أصحابها في ظروف صعبة خاصة عمال المناجم، إذ لا يشتغل أهل تفسرة بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان. كما أشار الحسن الوزان أنّ أحوالهم المادية غير مرضية في بعض المناطق؛ حيث يكاد يكون صناع مازونة تقريبا فقراء (الوزان،ح،ج2، 1982: 15-24 -26-36).

وصناع مدينة تبحريت القريبة من ندرومة " يعيشون في خوف دائم من هجوم النصارى عليهم ليلا، لذلك يقيمون حرسا يقظا في كل ليلة، لأنّ فقرهم لا يسمح لهم بأن يستأجروا جنودا"، وكذلك الحال بالنسبة لسكان مسيلة "فكلهم صناع أو فلاحون يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبون مداخيلهم" (الوزان،ح،ج2، 1982: 15-24 -26-36).

والظاهر أن الجانب الأخطر للحروب والفتن التي عرفتها منطقة المغرب الأوسط قد زعزع النشاط الحرفي والمهني، ويصف ابن أبي زرع الفاسي حملة التي قام بها السلطان المريني أبي يعقوب على تلمسان سنة 670هـ، وقيام قبائل بني توجين بتخريب جهات تلمسان "... فقطعوا الثمار، ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع، ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم... "(ابن أبي زرع،ح، 1972: 131-132). وكان هذا الأسلوب الجائر في معالجة مشاكل الدولة سببا في تفقير الصناع فقد أرهقوا بالجبايات التي تزيد عن طاقتهم.

كما أنّ نشاط الغزو البحري من طرف النصارى وهجرة السكان من المدن سبب في ازدياد فقرهم، وهذا ما أكده حسن الوزان عندما تحدث عن سكان جبل أغبال القريب من وهران بقوله: "كلهم فلاحون وحطابون يحملون حطبهم على وهران، وكانوا في عيشة راضية يوم كانت المدينة بأيدي المسلمين، لكن عندما احتلها النصارى أصيب الجبليون بفقر مدقع" (الوزان،ح،ج2، 1982 :52).

ولا غرابة أن يضطر العمال بسبب هذه الظروف الصعبة إلى الهجرة بسبب انحسار موارد العيش واللجوء إلى الملاحقة والاضطهاد. ومن الدلائل على ذلك كانت الضرائب غير الشرعية، إحدى العوامل التي ساهمت في إفقار قطاع واسع من المجتمع التلمساني ذلك أن الدولة الزيانية كانت تفرض ضرائب ثقيلة ومتنوعة لحاجتها المتزايدة إلى الأموال تهيئة للجيوش واستعدادا للحروب(بوداود، ع، 2004: 185). كانت الزراعة أكثر القطاعات تضررا من السياسة الجبائية، لأنها قوام الحياة بالمغرب الأوسط، وقد عكست النوازل الفقهية الدور الخطير الذي لعبته هذه السياسة في توجيه الزراعة، لقد كانت السياسة الجبائية التي فرضها بعض سلاطين بني زيان كارثة على الفلاحين حيث أرغموهم على دفع الضرائب لتعزيز شركة الدولة، وقد أفقد هذا الوضع المزارعين كل حافز للعمل والإنتاج، حيث اضطروا إلى هجر أراضيهم، كما عمد بعضهم إلى تقليص مساحة الإنتاج التي يملكها بتقطيع أشجارها، ونتف زروعها (بوداود، ع، 2004: 186)، يتضح أن السياسة الضريبية لم تكن تراعي الضرورات الاقتصادية والإنتاجية ومستوى الحياة الاجتماعية، وكان من البديهي أن يقع ثقل هذه الأمور على كاهل الفلاحين والصناع الأكثر تضررا باعتبارهم من عامة النّاس، وهو ما يعني إهمال الأراضي الزراعية التي توفر الغذاء وتعد مصدر دخل هام للدولة.

وعليه، فإنّ النشاط الصناعي يتطلب يدا عاملة في شتى المرافق، وبسبب تضررها من الاضطرابات المتلاحقة، تلجأ للبحث عن الأمان في إطار الهجرة إلى المدن الأخرى، فتفقد بذلك دورها الاقتصادي والاجتماعي. وهكذا فإن هجرات الحرفيين والصناع لا تخلو من انعكاسات سلبية على المناطق التي هاجروا منها. كما أن استغلال الثائرين لقوتهم الحربية في التخريب والتدمير يخل بالصناعة وبمقوماتها من مختلف قوى الإنتاج، ويعطل العمل الصناعي وتطوره ويزيد من فقر أهل الصناعات، ويشل حركة النشاط الاقتصادي بشكل عام.

ب- مستوى الثراء الحرفي

بطبيعة الحال لم تكن هذه النظرة المزرية حول الطبقة الفقيرة من الصناع شاملة على كل الفئات الحرفية، بل هناك من الأعمال المربحة وعلى الخصوص من يعملون في النسيج، فكان سكان هنين قبل نزوحهم عن المدينة إثر احتلال الأسبان لمدينة وهران (915هـ/ 1509م) كلهم تقريبا نبلاء شرفاء يعملون في القطن والمنسوجات، وأهل بجاية على قدر عظيم من الغنى، مثلها مثل سكان وركلة(الوزان،ح،ج2، 1982: 15-44-50)، ومن الأسر الحرفية الغنية عائلة النجار التلمسانية التي تملك ثروة هائلة بمدينة تلمسان ومكناس وفاس(فيلالي،ع،ج1، 2002: 214). وكان أبا علي حسين بن الجلاّب من أرباب الأموال الطائلة بتلمسان ورث حرفته عن والده، حيث تقوم بجلب الغنم من ضواحي البلد ويبيعها في أسواق تلمسان (ابن مرزوق، خ. 2008: 162).

كان أهل الصناعات في مدينة تلمسان يكسبون أموالا كثيرة ويعيشون حياة راقية وقد وصفهم حسن الوزان في قوله: "والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة، ويحبون التمتع في الحياة" (الوزان،ح،ج2، 1982: 21)، وكان أرباب الصناعات والقائمون على الورشات والأشغال

العمومية، وعرفاء الصنائع وأمناء الحرف يعيشون حياة الترف بسبب أجورهم المرتفعة، والأرباح العالية التي كانوا يتلقونها من أعمالهم (فيلالي،ع،ج1، 2002: 222).

11- الانتماء إلى الزي واللباس

أثرت مجموعة من المؤشرات المتعلقة بالأنشطة، والمكان، والهوية الشخصية بنمطية اللباس التي يختص بمزايا تتناغم مع المستوى الاجتماعي والطبقي، وبخاصة تجسيد سياسة التفرقة المهنية بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية. ومن شروط هذه الأخيرة اتجاه أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباس خاص بهم منذ وقت مبكر في بلاد المغرب الإسلامي، ففي عهد الأغالبة أمر القاضي عبد الله بن أحمد بن طالب أثناء ولايته الثانية من (267-275هـ/ 880-888م)، بأن يضع اليهود على أكتافهم رقاعا بيضاء في كلٍّ رقعة منها قردا وخنزيرا (المالكي، ع، ج1،1951: 381/ النباهي،ع، ج2، 1968: 205). ويروي المجليدي أنه "كتب عبد الله بن أحمد بن طالب إلى بعض قضاته في اليهودِ والنصارى، أن تكون الزنانير عريضة صغيرة مخالفة للون وجوه ثيابهم ليعرفوا بها، فمن وجدته تركها بعد نهيك فاضربه عشرين سوطا مجرَّدا، ثمَّ صيِّره في الحبس، فإن عاد فاضربه ضربا وجيعا بليغا وأطل حبسه" (المجليدي،أ،1971 : 78-79). ولم يكن فقهاء القيروان يتساهلون في مسألة اللباس حتى مع اليهودِ المقرَّبين من الحكام.

وفرضت عليهم في الفترة الموحدية: "بلبس ...ثياب كُحلية وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كلوتان على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت أذانهم، فشاع على هذا الزي في جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك لبقية أيامه ... إلى أن غيره أبو عبيد الله (ابنه) بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة ... فغير لهم اللباس بحيث ارتدوا ثياب

صفر وعمائم صفر" (المراكشي، ع، 1949: 251). ويبدوا أنهم استمر على هذا اللباس في المغرب الأوسط على الفترة الزيانية وهذا حسب ما أورده حسن الوزان في قوله "حارة تضم نحو خمسمائة دار اليهود .... يضعون على رأسهم عمامات صفراء" (الوزان،ح،ج2، 1982 :20).

وتشير كتب الحسبة بإلزام اليهود والنصارى بزي خاص، ويبدو أنّ الفقهاء رغبوا في إلزام اليهود بهذا الأمر لوضع حدٍّ لتكبرهم وتجاوزاتهم على الإسلام والمسلمين. ومن هذه الفتاوى قول ابن عبدون: "يجب أن لا يُترك أحدٌ من المتقبلين، ولا من الشُّرَطِ، ولا من اليهود، ولا من النصارى، بزي كبار الناس، ولا بزي فقيه، ولا بزي رجلٍ خيرٍّ ... يجب أن تكون لهم علامة يعرفون بها على سبيل الخزي لهم" (ابن عبدون، م، 1955: 51).

والجدير بالذكر أنّ أهل الصناعات تميزوا بلباس مختلف عن التجار في مدينة تلمسان حيث" يرتدي التجار الحضريون لباسا جميلا .... الصناع، إلا أنهم يرتدون لباسا قصيرا، والقليل منهم يتعمم، ويكتفون بوضع قلنسوة بدون ثنايا على رأسهم، وينتعلون نعالا حتى نصف الساق" (الوزان،ح،ج2، 1982: 21).

12- الانتماء إلى الموروث الثقافي

تبرز أهمية هذا الانتماء على مدى تحقيق الجماعة لحاجات أفرادها عن طريق اكتساب الميراث الثقافي الذي يمكنه من التفاعل ايجابياً مع أفراد مجتمعه مهما اختلفت انتماءاته المذهبية والطبقية، وعلى ممارسة النشاط الصناعي من خلال الاستفادة من الموروث المادي واللاّمادي الذي تركه السابقون مع المحافظة على هويتها وأصالتها. وتتميز الحرفة بالقدم وإن اختلف علماء الآثار في تحديد نصيب كل من الفنون القديمة في بناء الفن

الإسلامي في المغرب الأوسط. وقد تميزت إلى جانب القدم بازدهارها في مجال جغرافي واسع طال المناطق المجاورة، وعليه فقد قام الفن الصناعي المغربي على أصول مشرقية وأساليب فنية كانت سائدة في الأراضي التي فتحها المسلمون، هذه الفنون المشرقية التي تأثرت بأساليب الفن الروماني والبيزنطي والقوطي والهلينستي (كمال الدين، س، (د.ت): 22)، جعل حكام المغرب الإسلامي يستعينون بالصناع العرب كما استعان سلاطين بني زيان وأمرائهم في البناء والتعمير، بالمهندسين والبنائين والفنيين الأندلسيين(ابن خلدون، ع،ج7: 297).

والوسيط الثاني هو الطراز البيزنطي الذي تولد من الطراز الروماني المتأثر هو الأخر بالفن الإغريقي. لذلك ظلت نفس الفنون تمارس في ظل الفتح الإسلامي للمغرب بالرجوع إلى الحضارات القديمة التي سكنت هذه البلاد وتركت آثارها عبر الزمن. أما الوسيط الثالث تمثله طائفة من الأندلسيين الذين حملوا معهم تراثهم ومهنهم إلى المغرب الأوسط. وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع، وتعلقوا بأذيال الدولة. وبهذا فقد حافظت مختلف فئات المجتمع على التراث الحضاري الخاص بها واندمجت في الثقافة الإنسانية بالمغرب الأوسط وجعلت من وسطه وبيئته مركزا غنيا بالتنوع الحرفي.

13- الانتماء إلى البيئة

لقد وجدت علاقة وثيقة متبادلة بين المنتج الصناعي والبيئة، فالمنتجات الصناعية في تكوينها وزخرفتها وبنائها تخضع إلى آليات خاصة تتلائم مع البيئة، ومن جهة آخر فإن المنتج الصناعي بحد ذاته هو بيئة كمادة جامدة وفي الوقت نفسه يتواجد في بيئة، يتأثر بالنظام المحيط الشامل للبيئة بمكوناتها، فضلا عن أن البيئة هي مصدر الإلهام لدى الحرفيين، والبيئة التي

تعزز احتياجاته ومتطلباته تؤثر في كل أنواع الإنتاج الصناعي من حيث الإبداع والعطاء والمعدات وإتقان العمل، فنجد تأثير حركة الفنون والصناعات الحرفية على المنتج الصناعي من خلال الحضارة والزخرفة المستخدمة والخامة الموظفة. والتي تحدد المكان والزمان والتقنية. وهذا يختلف باختلاف المكان والزمان أي بين بيئة وأخرى، وبالتالي فهو مؤثر على بيئة المنتج الصناعي فهي تعكس جماليات زخرفية، فضلاً عن كونها تعكس أساليب فنية ومهارات متوارثة.

لقد لقيت ظاهرة الانتماء في الدراسات الحديثة استجابة واسعة المجال في إطار تحديد النط الهوياتي الذي يرتبط في الأساس بقضية الزمان والمكان والشخص. وعليه حاولنا إعادة توزيع هذه القواعد على الفترة الوسيطية وبشكل جلي على المغرب الأوسط، هذه الرقعة الجغرافية التي شكلت في مضمونها قوة إنتاجية متميزة متنوعة من حيث عدة اعتبارات انتمائية مست جوانب متعددة ذكرناها سابقا، والتي حددت هوية الطابع الحرفي الأصلي.

قائمة المصادر والمراجع

- المصادر

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي الفاسي، (1972م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك الغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الورقية، الرباط.

- ابن خلدون، يحي.(1980م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ج1.

- ابن خلدون، عبد الرحمن. (1983)العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، م6، ج7، بيروت.

- ابن عبدون، محمد بن أحمد . (1995م). رسالة في القضاء والحسبة.تحقيق ليفي بروفنسال.القاهرة. مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

- ابن مرزوق، شمس الدين أبـو عبـد الله محمـد التلمسـاني .(1981م)، المسـند الصـحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس فيغيرا، تقديم محمـود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .
- ابن الصغير. (1907م)، سيرة الأئمة الرستميين في تاهرت، تحقيق موتلنسكي، باريس.
- ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد. (1965). أنس الفقير وعزّ الحقـير. الربـاط: مطبعـة أكدال.
- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، (1951م)، رياض النفـوس، نشـره حسـين مـؤنس، القاهرة، ط1،ج1.
- الدرجيني أحمد بن سعيد،(1974م)، طبقات المشايخ بالمغربـ تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة.
- المراكشي، عبد الواحد (1949م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضـبط وتصـحيح: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط1.
- المجليـدي، أحمـد. (1971م)، تقـديم وتحقيـق موسـى لقبـال، ، الشـركة الوطنيـة للنشـر والتوزيع، الجزائر.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد البشاري،(د.ت)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر مكتبة خياط، بيروت.
- الوزان،الحسن بن محمد، (1982م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمـد الأخضـر، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ج2.
- الونشريسي، أحمد.(1981). المعيار المعرب والجامع المغـرب عـن فتـاوى علمـاء إفريقيـة والأندلس والمغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- النباهي، عباس أبو الفضل،(1968م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود ، بيروت، منشورات دار الحياة، ليبيا، دار الفكر،ج ـ2.
- Abu'Abd allah Muhammad B.Abi Muhammad As-Sakati de Malaga. Un Manuel Hispanique De Hisba. Texte Arabe ,Introduction.1930. Par Colin et Lévi –Provençal .Paris. □

- **المراجع:**

- أحمد ذكي بدوي، (1978م)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.

- بوداود، عبيد. (2004م)، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين (13-15هـ) ، دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- جودت، عبد الكريم يوسف، (1992م)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط(3-4هـ/ 9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- الدراجي(1993م)، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- الدوري، عبد العزيز.(1987م). مقدّمة في التاريخ الاقتصادي العربي. بيروت: دار الطليعة للنشر والتوزيع.
- الذهبي، إدوار غالي،(1993م)، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب، ط 1.
- عبد الحميد راتب نجلاء، (1999م)، الانتماء الاجتماعي للشباب المصري : دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح، مركز المحروسة للنشر، القاهرة.
- سامح كمال الدين، (د.ت).العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- مختار حساني، (2007م)، تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، ط1، ج2.
- **المجلات:**
- الجراري عباس،(1996م)، مفهوم التعايش في الإسلام"، **مجلة الإسلام اليوم**، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، أيسيكو، العدد 14.
- الزحيلي، وهبة،(2006م)."مفهوم المواطنة في المنظور الإسلامي **مجلة التسامح**"، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، عدد 15، السنة الرابعة.
- سعيدوني، ناصر الدين.(1984م)، الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي(مجلة أوراق) مدريد، العدد الرابع، المعهد الأسباني العربي للثقافة.